شعـر الخـــوارج*

التسمية والنشأة :

سمـي الخـوارج بـذلك لخـروجهم علـي علـي بـن أبـي طالـب حـين قبـل التحكـيم في صـفين أو سمـوا بـذلك مـن الخـروج اعتمـادا علـي قـول الله تعالي: " ومن يخرج من بيته مهاجرا إلي الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقـع أجـره علـي الله [1]، ولهـم أسمـاء أخـرى مثـل " المحكمـة " لقـولهم " لاحكم إلا الله " ومثل الحرورية" نسبة إلي حروراء وهـي قرية قـرب الرقـة علـي الفـرات وهـي قرية انحـازوا إليهـا في أول الأمـر، ومثـل: " الشـراة " أى الذين "شروا آخرتهم بدنياهم .

ويبدأ تاريخهم السياسي عقب صفين حينمـا انحـازوا إلى حـروراء وأبـوا دخول الكوفة مع علي ، واجتمعـوا بـالنهروان واسـتخلفوا عليهم عبـد الله ابـن وهـب الراسـبي وعبـد الله بـن الكـواء [2] وأخـذوا يصـدرون العنـف والإرهـاب ويفسـدون في الأرض فاضـطر علـي إلى قتـالهم ،وكانـت نهايـة سيدنا علي علي يد واحد منهم هـو عبـد الـرحمن ملجـم و الحـق أن ثوراتهم لم تهدأ طوال العصر الأموى ضد الأمويين و غيرهم .

فـرق الخـوارج :

ينقسم الخوارج إلي فرق كثيرة تبلغ عند الرازي إحدى وعشرين فرقة[3] وعند البغدادي اثنتين وعشرين ولكن أبرزها وأهمها [4]

١- **الأزارقـة :** وهـم أتبـاع نـافع بـن الأزرق وهـذه الفرقـة أعظـم فـرق الخوارج وأشدها خطرا .

---

* انظر: الملل والنحل/ الشهرستاني/ صـــ١١٩/ ط١ الانجلو سنة ١٩٧٧، وانـظر اعتـــقادات المســـلمين والمشركين/ الفخر الرازي، صـــ٤٦، سنة ١٩٣٧، الفرق بين الفرق/ البغدادى، صـــ٧٢– ١٠٣، أضـــواء الفرق الاسلامية، صـــ٤٣ – ٥٣ .

[1] سورة النساء أية ١٠٠.

[2] الملل والنحل صـــ ١٢٠ .

[3] اعتقادات المسلمين والمشركين ، صـــ ٤٦ – ٥١ .

[4] انظر/ الملل والنحل / صـــ ١١٨ – ١٤١.

٢- النجدات العاذرية: أتباع نجدة بن عامر

٣- **الإباضية** : أتباع عبد الله بن إباض .

٤- **الصفرية**: أتباع زياد بن الأصفر.

٥- **العجاردة** : أتباع عبد الكريم بن عجرد .

صفات الخوارج ومميزاتهم :[1]

يتميز الخوارج بصفات وملامح خاصة قد لا توجد في الفرق الأخرى، ولعل أهم هذه المميزات ما يلي :

١- **البساطة والسطحية**: وعدم التعمق في فهم الأمور وعدم تقدير النتائج تقديرا سليما والدليل علي ذلك أنهم حاربوا مع ابن الزبير حتى انجلي الأمويون عن مكة ثم طالبوا ابن الزبير إبداء رأيه في عثمان وعلي .

٢- **التشدد في العبادة** : ومن ذلك أن ابن عباس عندما ذهب إليهم رسولا من قبل علي رأى منهم جباها قرحة وأيديا كثفات الإبل من طول السجود.

٣- **الوفاء** : ومن ذلك أن ابن زياد كان قد سجن مرداس بن أدية، ولما رأى السجان صلاحه وتقواه كان يصرفه إلى داره علي أن يعود في مطلع الفجر فكان يفعل ولا يتخلف .

٤- **من ملامح الخوارج الفوضى** : وعدم الخضوع للنظام ولولا ذلك لكانت لهم قوتهم القاهرة.

٥- **كانوا أعداء للإسلام** والمسلمين بطريق غير مباشر فلقد ابتدعوا في الإسلام أشياء ليست منه ونكلوا بالمسلمين وأزهقوا أرواح الآلاف .

وتتلخص **أفكارهم السياسية** في أن الإمامة غير ضرورية وعلي الناس أن يتناصفوا فيما بينهم، ويجوز لهم أن ينصبوا إماما، ويجب أن يختاره المسلمون اختيارا حرا، ولا يشترط أن يكون قرشيا، وتجب طاعته ما أطاع الله وإلا فالثورة واجبة عليه .

---

[1] انظر: التاريخ الإسلامي/ د. أحمد شلبي/ جـ٢- صـ٢٢٠-٢٦٠/ ط نهضة مصر سنة ١٩٦٥ .

والحق أن ظهور الخوارج قد اقترن منذ البداية برفضهم كل الأوضاع السياسية السائدة آنذاك " فالتقوا منذ بداية نشأتهم حول فكرة سياسة جعلتهم أقرب الطوائف الإسلامية في العصر الأموي إلى مفهوم الحزب السياسي الذي يحارب خصومه في سبيل هدف واضح وفهم خاص للحكم ورأي الدين فيه فهم لم يعتمدوا في دعوتهم علي انتماء ديني كالهاشميين ولا علي انتماء قبلى كالأمويين ولا نزعة إقليمية كالزبيربين "[1] وإنما جمعهم رأي واحد هو أن الخلافة شورى بين المسلمين.

وأما أهم **عقائدهم الدينية** فإنهم يختلفون فيها فمنهم من يتشدد ومنهم من يتخفف بعض الشئ ويرى المتشددون أن من سواهم غير مؤمن ولذلك فإنهم يستبيحون قتلهم وقتل أطفالهم ، ويرون أن المخالفين مصيرهم النار، وأما المتخففون فإنهم يرون أن دماء مخالفيهم حرام وأن دارهم دار توحيد إلا معسكر السلطان[2]

موضوعات شعر الخوارج :

من أبرز موضوعات شعر الخوارج ما يأتي :

١- الحث علي الثورة والجهاد :

صور شعر الخوارج كثيرا من حروبهم وقتالهم ومجد أبطالهم ودعا إلى الثورة والجهاد ضد أعدائهم فلقد ظلوا يحاربون ويقاتلون ويثورون ويجابهون الأمويين وغير الأمويين ؛ ولذا يمكن القول إن شعر الخوارج ما هو إلا شعر ثورة وجهاد ودعوة إلي الحماس والاستبسال في سبيل المبدأ الذي آمنوا به وفي سبيل عقيدتهم التي تعمقوها ونحن حينما نقرأ شعرهم نحس بأن الإسلام لا يتجاوز حدود معسكراتهم .

لقد استنهض شعراء الخوارج الجيش وبثوا فيه الحمية والثورة وحب الموت واستعذابه .

---

(١) في الشعر الإسلامي والأموي / د. عبد القادر القط /صـ ٣٧٥ / مكتبة الشباب . سنة ١٩٨٠.

(٢) انظر: الكامل المبرد / جـ ٢ ، صـ ١٢١ وما بعدها / نشر مؤسسة المعارف – بيروت – بدون .

وهذا معاذ بن جوين يقول :

فشـــدوا علي القـــوم العـــداة فإنها إقامتـــكم للذبـــح رأيا مضـــللا

ألا فاقصـــدوا يا قوم للغاية التـــي إذا ذكرت كانت أبر وأعـــدلا[1]

وأعـــدلا[1]

لقد ظل الخوارج " ثائرين وظلت عقيدتهم كأنها مبدأ ثوري يدعوهم دائما إلي الحرب والقتال [2]ومن ثم كان الاستشهاد عندهم غاية ما يتمنونه والموت أعذب ما يرونه ، ولكي ينال الخارجي ذلك فهو حريص علي الجهاد متأهب له دائما ، بل متعجل إليه ، غير حريص علي الدنيا وما فيها ولذلك يقول قطري بن الفجاءة :

أقـــول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لن تـــراعي

فإنـــك لو سألت بقـــاء يـــوم علي الأجل الذي لك لم تطاعي

فصبرا في مجال الموت صبرا فما نيـــــل الخلـــود بمستطاع

ولا ثوب البقاء بثـــوب عـــز فيطوى عن أخي الخنع اليراع

سبيل المـــــوت غاية كل حي فداعيـــه لأهـــل الأرض داعي

وما للمرء خيـــــر في حيـــاة إذا ماعـــد مـــن ســـقط المتاع[3]

ويقول :

لا يركنن أحد إلـــي الإحجـــــام يوم الوغى متخـــوفا لحمـــام

أدعو الكماة إلى النزال ولا أرى نحر الكريم علي القنا بحرام[4]

---

[1] تاريخ الطبري / جـ ٦ / صـ ١٠٧ ، وانظر ديوان الخوارج ، صـ ١٦٧ / جمع وتحقيق د . محمـود معروف ، ط ٥ دارة المسيرة سنة ١٩٨٧

[2] العصر الاسلامي / د. شوقي ضيف ، صـ٣٠٢ .

[3] شذرات الذهب/ العماد والحنبلي/ جـ١ صـ ٨٦. وانظر: ديوان الحماسة لأبي تمام/ جـ١، صـ٤٠، تحقيق د. عبد المنعم أحمد صالح/ ط الذخائر سنة ١٩٩٦. وانظر : ديوان الخوارج، صـ١٦٩ مع ملاحظة الاختلاف في رواية بعض الأبيات .

[4] ديوان الحماسة / جـ ١، صـ ٤٧، وانظر ديوان الخوارج ، صـ ١٧١.

لقد امتلأ شعر الخوارج بالدعوة إلى الثورة والجهاد وطلب الموت واستعذابه وكره الحياة حتى انتهى بهم الأمر" إلى ما يشبه الزهد الخالص [1]زهد يتأمل فيه الخارجي " حال الدنيا ومصائر الإنسان فيخلص فيخلص إلي الإيمان بأن الحياة عرض زائل وأن الإنسان فيها ظل عابر [2] ومما يدلنا علي ذلك قول عمران بن حطان :

لقد زاد الحياة إلي بغضا ... وحبا للخروج أبو بلال
أحاذر ان أموت علي فراش ... وأرجو الموت تحت ذرا العوالي
ومن يك همه الدنيا فإني ... لها والله رب البيت قال[3]

وقوله :

حتى متى تسقى النفوس بكأسها ... ريب المنون وأنت لاه ترتع
افقد رضيت بأن تعلل بالمنى ... والى المنية كل يوم تدفع
أحلام نور أو كظل زائل ... إن اللبيب بمثلها لا يخدع
فتزودن ليوم فقرك دائبا ... واجمع لنفسك لا لغيرك تجمع[4]

٢- الشجاعة والتقوى :

وهذا غرض آخر من أغراض شعرهم فلقد كثر حديث شعرائهم عن هذين الجانبين الشجاعة والتقوى – فأثنوا علي كل من يتصف بهاتين الخصلتين وذلك كما نقرأ في قول الطر ماح بن حكيم :

فوارس من شيبان ألّف بينهم ... هدى الله، نزالون عند التزاحف[5]

وكما نقرأ في قوله :

لله در الشراة إنهم ... إذا الكرى مال بالطّلا أرقوا
يرجعون الحنين آونة ... وإن علا ساعة بهم شهقوا

---

(١) في الشعر الاسلامي والأموي / د. القط / صـ ٣٨١ .
(١) في الشعر الاسلامي والأموي / د. القط / صـ ٣٨١ .
(٣) الكامل / جـ٢،صـ١٢٥ ، وانظر ديون الخوارج صـ ١٢٩ .
(٤) ديوان الخوارج ، صـ١١٨ ولعمران أيضا أبيات في الحديث عن الموت – انظر زهر الآداب جـ ٤ ، صـ ٩٢٥ – ط دار الجيل .
(٥) الأغاني / جـ ١٠ / صـ١٤٩ / وانظر ديوان الخوارج ، صـ ٨٥ . .

خوفا تبيت القلــوب واجفة تكاد عنــها الصدور تنفلق[1]

والخـوارج – كمـا يصـفهم شـعراؤهم – يقومـون الليـل ويكثـرون مـن الحنين إلى الجنة ويكثرون من الأنين خوفا مـن النـار حتـى لتكـاد قلوبهم تنفطـر، وهـم في النهـار أسـد مغـاوير في القتـال في غايـة مـن البسـالة والشجاعة ، يندفعون إلى أعدائهم غير هيابين ولا وجلين ، يقول سبرة بن الجعد معبرا عن ذلك:

إلى عصبة أما النهار فإنهم هم الأسد أسد الغيل عند التهايج
وأما إذا ما الليل جن فإنهم قيــام بأنواح النساء النواشج[2]

ويقول عمرو بن الحصين :

متأهون كــأن جمــر غضــا للخــوف بين ضلوعهم يســري
وهم مساعــر في الوغى رجــع وخيار من يمشــي علي العفر "[3]

ولعل في أبيات قطري التي أوردناها عند الحديث عن الحث علي الثورة ما يوضح مقدار شجاعة هؤلاء الخوارج وزهدهم في الدنيا وتقواهم .

٣- الهجاء :

استخدم شعراء الخوارج الهجاء سلاحا حادا ضد أعدائهم ، ولكن هجاءهم لم يكن الهجاء المعهود عند شعراء العربية ، هذا الهجاء الذي يرمي المهجو بالنقائص الخلقية فقط بل تحول إلى اتهام خطير وهو تكفير أعدائهم ورميهم بالإلحاد والفجور والضلال فلقد رأى الخوارج جواز استباحة دماء مخالفيهم كما رأوا أنفسهم صالحين متقين يستحقون الجنة بينما مخالفوهم يستحقون العذاب والسعير وبئس المصير يقول قطري بن الفجاءة في يوم دولاب بعد أن تحدث في بداية القصيدة عن زوجته أم حكيم :

فلو شهدتنا يــوم ذاك وخلينــا تبيــح من الكفار كل حريم

---

(١) الأغاني / جـ ١٠ / صـ١٤٨ ، وانظر ديوان الخوارج ،صـ ٨٦ .
(٢) انظر ديوان الخوارج ، صـ ٧١ .
(٣) الأغاني / جـ ٢ ، صـ١١١- ١١٢. وانظر ديوان الخوارج ، صـ ١٤٣-١٤٥.

رأتْ فتيــة باعوا الإله نفوسهم بجنات عدن عنده ونعيم[1]

وهو يقصد بالكفار مخالفيهم في العقيدة والمبدأ وكلمة " حريم" يعني بها كل " محرم " ، ومن ذلك أيضا قول أم عمران بن الحارث وهي ترثي ابنها :

الله أيــد عمــرانا وطهــــره وكان عمران يدعو الله في السحر
يدعــوه ســرا وإعــلانا ليرزقه شهــادة بيــد ملحــادة غــدر [2]

لقد تحول الهجاء عند شعراء الخوارج لمخالفيهم في العقيدة إلى هجاء حاد وصل إلى حد الاتهام بالكفر والمروق علي الإسلام .

سمات شعرهم :

يتميز شعر الخوارج بأنه شعر سياسي مملوء بالجدال والاحتجاج والدفاع عن مذهبهم وعقيدتهم ، وهو تصوير صادق لشجاعتهم وبطولتهم وتقواهم وزهدهم وتعبير عن رأيهم في مخالفيهم. كما يتسم بجزالة الأسلوب وقوته بالإضافة إلى أنه شعر ملتهب حار فيه حرارة الإيمان وقوة العقيدة وصدق العاطفة. ويلاحظ علي شعرهم خلوه من العصبية القبلية والشعوبية والبعد عن الارتزاق ، كما يتسم بوحدة القصيدة والتشابه في الموضوعات والصور ، ويغلب عليه التأثر بالقرآن الكريم والبعد عن الصنعة اللفظية كما يغلب عليه كثرة المقطعات .

والحق أن شعر الخوارج يعد سجلا حقيقيا لمبادئهم وعقيدتهم ، والأساس الذي دار حوله هو الجهاد من أجل المبدأ والعقيدة وإن تعددت بعض موضوعاته. ولا يمكن أن تغفل ظاهرة الالتزام في هذا الشعر فلقد عاش كل شاعر من شعراء الخوارج ملتزما بالخط السياسي الذي حدده حزبه لم يخرج عنه ولم ينحرف . لقد كان شعر الخوارج " أصدق تعبير

---

(١) الأغاني / جـ ٦ ،صـ ٥ ، انظر ديوان الخوارج ، صـ ١٧٥ .
(٢) الأغاني / جـ ٦ ، صـ ٤ / انظر ديوان الخوارج ، صـ ٢٨ .

أدبي عن الإيمان بمذهب سياسي قائم علي أسس دينية[١]، إنه صورة رائعة رائعة للشعر الإسلامي القوي الجديد في عصر بني أمية .

النقائض في العصر الأموي

التعريف :

النقائض جمع نقيضة ، والنقيضة لغة مشتقة من نقض إذا هدم[٢]ويقول هدم[٢]ويقول صاحب تاريخ النقائض في الشعر العربي إن هذا المعني اللغوي اللغوي له طوران أحدهما حسي يتمثل في نقض البناء أو الحبل .....والثاني معنوي يبدو في نقض العهود والمواثيق وفي نقض القول والإتيان بما يغايره .[٣]

وأما في الاصطلاح فإن النقيضة هي قصيدة يرد بها شاعر علي شاعر ابتدره بالهجاء والفخر ينقض معانيه معني معني ويفخر عليه ويصمه بما يشينه ويشين قومه مستخدما الوزن والقافية اللذين استخدمها الشاعر الأول . ومعني ذلك أنه " لابد من توافر ثلاث وحدات في القصيدتين حتي يقال إنهما نقيضتان : وحدة الموضوع ، ووحدة الوزن ،ووحدة القافية[٤] و إن اختلفت حركة حرف الروي أحيانا ومن ذلك علي سبيل المثال قول الفرزدق.

إن الذي سمك السماء بني لنا بيتا دعائمه أعزو أطول[٥]

فيرد عليه جرير قائلا :

إن الذي سمك السماء بنى لنا عزا علاك فماله من منقل[٦]

---

(١) الفرق الإسلامية في الشعر الأموي / د. النعمان القاضي / صـ ٤٦٣ ، ط دار المعارف . سنة١٩٧٠ وانظر أدب السياسة في العصر الأموي د. أحمد محمد الحوفي / ط خامسة دار نهضة مصر سنة ١٩٧٩ .

(٢) انظر مادة " نقض " في لسان العرب إذ يقول ابن منظور " النقض إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء وفي الصحاح : النقض نقض البناء والحبل والعهد " لسان العرب : مادة نقض .

(٣) تاريخ النقائض في الشعر العربي / أحمد الشايب/ صـ ٣/ ط ثالثة نهضة مصر سنة ١٩٩٨.

(٤) في الشعر الأموى د. يوسف خليف ، صـ ١٣٦ ط مكتبة غريب سنة ١٩٩١ .

(٤) ديوان الفرزدق/ تحقيق كرم البستاني/ جـ٢، صـ ١٥٥، وانظر كتاب تقائض جرير والفرزدق / أبو عبيدة معمر بن المثنى / اعتناء بيفان ، جـ ١ ، صـ ١٨٢ .

(٦) شرح ديوان جرير/ شرح وتقديم مهدي محمد ناصر/ ص٣٣٧/ ط دار الكتب العلمية– بيروت سنة ١٩٩٢ ١٩٩٢